حبنا

﴿الهوى اصل الشقا﴾

﴿تأليف الفقير اليه تعالي﴾

﴿توفيق دوبريه﴾

﴿نجل صاحب العزة يوسف بك دوبريه﴾

﴿طبعت علي نفقة المؤلف المخصوصية﴾

﴿حقوق اعادة الطبع محفوظه له﴾

﴿لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد صلاح الدين سند﴾

—﴿ما رشيء في الهوى * الا حلا للعاشقين﴾—

—﴿ان لم تصدقني فها * ك جهينة الخبر اليقين﴾—

﴿طبع بمطبعة جريدة الفلاح بمصر سنة ١٨٩٣﴾

﴿ مقدمة الكتاب ﴾

بينما كنت في ذات يوم مجتمعا في احد منتديات العاصمه بجم غفير من الاصدقاء الالباء الذين الفوا المطالعات وصرفوا ثمين الاوقات في اقتناء العلوم والمعارف وانفقوا نفيس صبوتهم في تحصيل الشوارد والطوارف ولم نزل نتجاذب اطراف الاحاديث في المفاوضة عن الاسفار والسياحة في البحار والقفار وما يكتشف عليه المرء من غريب يحسن معرفته وعجيب لاغناء للعمران عنه مما يفتح مجالاً رحباً لارتقاء البشرية . وتوطيد روابط الجامعة الانسانية . واذا باحد الاصدقاء روي لنا من طريف الانباء انه اثناء وجوده في الاسكندريه تعرف بسائح فرنساوى طاف الارض شرقا وغربا وجاب البلدان قاصيها ودانيها الي ان عطفت به التقادير فتوجه الى اسبانيا اثناء شبيبته وحل بضعة اسابيع للتنزه في ضواحي سان سبستين ورأى تلك الجهات وهي مفعمه بعلامات الخراب عقب حدوث الحرب الاهلية فيها .

فعندئذ سألت صديقي هذا عما اذا كان السائح المومي اليه لم يزل مقيما في الثغر ام لا . فاجابني بانه نازل كضيف هنالك للان فرجوته بالحاح ولجاجه ان يكلف خاطره ويأتي لنسافر سويه قاصدين الاسكندريه لشدة رغبتي في التعرف بذاك السائح الغريب فاجاب طلبي ولبي منتدبي لما بيننا من رابطة الاخا . وفي الحال سددنا ماعلينا من الاشغال

في العاصمة وسافرنا الى الثغر وهنا لك نلت ماربي وتعرفت بذاك السائح الفرنساوي . فوجدته آية في اللطف والدعه ومن ثم اجتمعت واياه مرات متعدده تشنف سمعي في اثنائها بما ساتي علي ذكره لحضرات القراء الافاضل لاسيما الذين اقبلوا علي اقتناء كتابنا السلسلة الدرية فى الفكاهات التاريخية . كاقبال الجياع علي القصاع مما نشطنا وقوانا علي معاودة الكتابة في هذا الفن راجين المنفعة العمومية سائلين الله وهو اكرم مسؤل ان يوفقنا الى مافيه الصواب آمين .

﴿ الفصل الاول ﴾

قال الراوي . في اثناء سياحتي كان صاحب النزل الذى كنت فيه يناهز سن السبعين ولم يزل يقص عليّ من الاحاديث مايوجب وقوف شعر الانسان في قمة رأسه . من اجلها غرابة واحسنها عباره ماساتي علي ذكره لك ملتزما جانب الايجاز مجتهدا فى الاتيان به علي علاته دون ابرام اونسيان . والان بعون ذى الطول . ابتدىء فاقول .

انه فى الحرب الاخيرة التي اثارها الدون كاراوس علي ملك اسبانيا كانت رائحة البارود منتشرة في جميع بلدان هذه النواحي خصوصا ضواحي سان سبستين والجبال المحيطه بها ومكثت علي تلك الحال مدة شهور طويلة نعم واظن انك قد رأيت في ضواحي هذه الجهات بقايا ماشخص من طلالها المتهدمه والمسوده اثر ذلك الاوان عاقبة الحرب الخراب وهذه الطلال التي بدون شك قد رأيتها علي الطريق هي من بقايا منازل

كانت مسكونه ثم نعي فيها اليوم حتي صيرها قاعا صفصفا اشبه شيء بالمدافن وسبب ذلك انتشاب القتال بين رجال الدون كارلوس وجنود حكومة مدريد (عاصمة اسبانيا) فآه كم من انناس هلكت وكم من جرح واطفال وقعت وكانوا يشعرون بدنو اجالهم وهم يتسألون في بعضهم عن السبب ولا يعلمون من اين دهمهم ذلك فيا اقبح الحروب الاهلية وما اشقع من يشترك فيها وفي ذلك الوقت كانت ولاة الامور تقود الرجال كالبهائم وتوجههم اينما تشاء وبمجرد مجيء الدون كارلوس الى هذه النواحي قامت الاهالى رهبة منه وجمعوا له جيشا من بينهم . وكانت الاناس تنخرط في سلك الجنودية افواجا افواجا حبا فى التزيي بملابس العسكرية بما فيها من القبعات التي تتصل باذانهم . ورغبة فى الدخول الى البلدان والقري وامامهم الموسقي تعزف . وشوقا في الوقوف وسط المعامع والرصاص يحلب عليهم من كل فيج عميق وذلك لكثرة شجاعتهم . وفرط بسالتهم . وكانو بتة تلون طول النهار غير مبالين بامر الزراعه ولا بلا شغال كافة . واستمر الحال علي هذا المنوال مدة ثلاث سنوات وقد وصلت الحاله باسيدى لي ان جميع الرجال المدججة بالسلاح قد اقسمت هذه الجهات الواسعة والفلاوات الشاسعة وهم اخذون في اهلاك بعضهم البعض مع انهم ابناء وطن واحد . واظنك تعلم حادثة مدينة بلباوه التي شدد عليها الحصار الدور كارلوس برجاله الذين كانوا محتلين جميع المضائق والممرات الكائنة بين سان سبتين و بلباوه . وهم يطاولون عساكر الملك بطعن البيض الصفاح وكان القائد الذي عليه المعول الان في عساكر الدون كارلوس يدعي

وكراجا وقد كان ضابطا فى عساكر حكومة مدريد ثم انحاز الي الفريق ثانى وبعث بحسامه الى الملك فى مدريد قائلا · اوصلوا هذا الحسام لى مدريد وبلغوا الحكومة عن لسانى ان تعطيه لمن تشاء وتنتخبه لمحاربتي وما انا فاني قد اخذت الان حساما غير هذا من الدون كارلوس ملكي لحقيقي واستمر هذا القائد العظيم والشجاع الخطير محتلا الجبال الشمالية مدة ثلاثة عشر شهرا · وكان الملك في كل هذه المدة يبعث في جيوش لمحاربته ولا يكل عن ارسال نجدات متواليه لكبح جماع عصيانه · وكنا نرى تلك لجيوش راجعه القهقرى مدحورين مكسورين ولهذا كان اسم ذوكراجا آخذا في النمو من يوم لاخر · وكان القائد علي عساكر الملك قريبا من الجنون لما يراه كل يوم من انتصار عدوه عليه وضياع عسكره كالهباء المنثور في الهواء مع انه كان عاقدا النيه علي اذلال ذوكراجا ·

وفي يوم ما قال الجنرال جاريدوه وهو في الساحه حينما راي عساكره راجعه مكسورة مقهورة انى ابيع حياتي بحياة هذا الذميم ذو كراجا واني اتعهد لمن يقتله بثروة تذكر · وقد كاد ان يجن من منظر رجوع عساكره مكسورة علي هذه الصورة · وكان كلما جاءه نبأ فقد عدد من عساكره مقتولا بصوله ذوكر جاء ترتعش اعضاءه كأن من مات هو من فلذة كبده او بالحرى من اولاده وقد انتشرت اقوال جاريدوه فى هذا الصدد وملأت المسكر بسرعة وفي اليوم الثانى اتى شاب قوى البنية متناسب الاعضاء وطلب مقابلة قائد لمسكر · فادخل الى حضرته حيث كان في المفاوضة مع اركان حربه ووقف امامه وقال بلسان طلق فصيح

يدل على بسالة قائله هل تعطيني ما اطلبه منك اذا قتلت ذوكرا جابيدى فقال جاريدوه باندهاش ومن انت ياهذا فاجابه انا أحد ابناء هذه البلاد واسمي جان وانا رجل لا اهاب الموت وقد اقسمت باني اصير من ذوي الثروة الواسعة فتفرس القائد فيه من اطراف قدميه الي قمة رأسه وقال له لما لم تخرط في سلك عساكر الدون كارلوس حيث انك من البلاد الشمالية. فاجابه الشاب لاني لا اعبأ باحد في العالم سوي بفتاة جميلة ورداح اسيلة تحاكي البدر في ليلة تمامه فقال القائد وهل هذه خطيبتك فاجاب آه و يا السعادتى اذا كانت هذه خطيبتي ... ولكنها ابنة مزارع غني جدا بالنسبه الي انا الفقير الذي لا يريد سوي ثروة توصلني الى الاقتران بها حيث ان ذلك مطلوب والدها

وكان جان معروفا في البلد عند العامة والخاصة ونحن نعلم قصته وغرامه بابنة المزارع المدعو بشغار صاحب الاملاك الواسعة الذى يسكن بين بلدة هرانى وقلعة سانتا بربرا التي في شان سبستين وكان الكهل شغار المشار اليه متعجرفا بابنته روزة كمتعجرف امرأة مصرية بجليها او شامية ببلاهتها وعيها وكانت روزه تذهب الي البيعة من وقت الي آخر وفي اغلب الاحيان كانت البنات تذهب الى الكنيسة وهنالك يقع التحابب والتخاطب بينهن بدون علم والديهن وكان يوجد في مدينة لوبولا حيث كانت البيعة شيطان يحوم حول البنات الجميلات وهو جامع لكل صفات الغرور التي تغري باب الفتيات وتعجبهن ولكن ليس فيه صفة واحدة تعجب الوالدين وهذا الشيطان هو جان المومي اليه الذى جاء للقائد جاريدوه كما

اوردنا بفصاحته و بشاشته العاديتين وكان اعظم لذة لدي هـذا الشاب الشجاع هي مصارعة الثيران الوحشية كما هو معتاد الحدوث في تلك البلاد ودائما تجده لايملك شروة نقير وهو عائش بحكم التقادير ليس الا

وقد اتفق انه احتفل في ملعب سان سبستين لقتال ثيران فلم تتمكن الرجال المصارعون حينئذ من كبح جماح ثور اسود منقط بالدم فجعل جان هذا يصفر استهزاء . فطلب منه الحضور ان يريهم شجاعته في الحال فانتصب بسرعة ووثب الي مكان القتال واخذ حسامه الصغير مسلولا و وقف امام ذاك الوحش الضار وجعل يتفرس فيه و يضحك بتهكم واستهزاء ثم انه طعنه بسرعة عجيبة فوقع الوحش مكانه مخضبا بدمه وعندئذ التفتت جان الشجاع نحو اللاعبين وقال لهم «الم تروا ... ان هذا ليس بصعب» فحقد مصارعوا الثيران علي جان عند سماعهم صياح الجمهور وهم يقولون له بخ بخ و يصفرون استهزاء بهم وما كان منهم الا ان هجموا عليه واحتاطوا به احاطة الهالة بالقمر وارادوا الايقاع به ولكنه علم بما يضمرونه له من سوء النية فوثب من علي احدهم وقد كان امامه واستلم محله بين المتفرجين و بهذه الوسيلة سلك سبيل الخلاص في ذاك اليوم . ثم بعد بضعة ايام تبارز جان هذا مع احد المصارعين فجرح جرحا بليغا ولازم الفراش مدة خمسة عشر يوما ثم عاد لمراجعة الكرة واصر في نفسه ان يقتل احد مصارعي الثيران وكان جان قد تعرف بأناس يكونون من اصناف المطارة مافيه شفا الجراح وازالتها بسرعة وايضا قد تمكن بواسطتهم من الاستحصال علي سم هائل المفعول وهو مكون علي صفة مرهم الشفاء السالف الذكر

ووضعه في فص خاتمه قائلا في نفسه بان الانسان يلزم ان يكون دائما السيد المطلق التصرف بحياته يفعل بها كيف يشاء لان المدية لا تفي بالمقصود اذا استفز الانسان غيظ وضاقت به الامور زرعا ولا يمكنه ان يبعدها على الدوام في يده لكون المدية يمكن انتزاعها واما الخاتم فلا. ويصير الانسان حرا اذا اراد التخلص من حياته فيكفيه ان يضع اصبعه في فمه

وفي يوم ما اتفق ان جان هذا البالغ الخامسة والعشرين قد رأي في بيعة لو يولا يوم عيد الفصح فتاة جميلة في عز ريعان شبابها وهي روزه شغار فاقترب منها وتجاذبا اطراف النظرات بطرف خفي حتي اصبح الاثنان اسيري هوي بعضهما

والحب اول مايكون بنظرة * فاذا تمكن في الفؤاد اذا به

ومن يوم عيد الفصح هذا تمكن الهوى من قلب جان فغير حاله واكثر بلباله وكذلك الكهل شغار ابو الفتاة قد هجرت التبسم شفتاه لما علم ان ابنته تولعت بحب من ليس بكفء لها. نعم ان سلطان العشق قد استحكم في القلبين حيث وجدهما خاليين. فكانت الفتاة لا تفكر الا فيه وهو لا يتذكر الا جمالها. وصارا كروضة ذبل وردها. وقد انحل جان الهوى وصيره عبوسا قمطريرا خصوصا لكونه لا يملك مثقال ذره من الدراهم واما روزه فكانت ذات ثروة واسعة وابي ابوها ان يزوجها الا لشريف من ذوى الثروة الواسعة فقال جان لشغار ان ابنتك روزه تحبني وقد اعلمتني بذلك فاجاب نعم وقد اخبرتني انا ايضا فقال جان واني اعبدها

وقد كدت ان اجن واذا لم تعطها لي اقتل نفسي لا محالة ... آه ماذا اعمل لتصير قريتي فاجاب شغار افعل مثلي اسيء اشتغل وادخر فاني لم اشتغل مدة حياتي لكي اعطي ما ادخرته لرجل نطاط مثلك ليس له ثروة ولا غيرة ولكن حينما تأتيني وقد تحصلت علي ثروة ولو صغيرة تكفي لمعيشتكما براحة اقرنك بها حيث انها احبتك فسأل جان وكم يلزم ان اجمع من الدراهم فاجاب الشيخ اربعة آلاف ريال علي الاقل فقال جان ان هذا كثير وهو يعادل عشرين الف فرنك ولكن اين اجد هذه الثروة انا فاجاب اني وجدت مثل هذه المبالغ واكثر في الارض فابحث انت ايضا ربما تجد . وكان من عادة الكهل شغار ان لا يرجع في كلامه ابدا وعلي ذلك فما وجد جان امامه الا الانتظار او البحث علي تحصيل هذه الثروة ومن سليقة روزه ايضا ان لا تخالف اباها ابدا . ولكن لكونها عاشقة هذا الشاب قد عولت علي ان تنتظره الى ان يأتي بالثروة المطلوبة وما كانت تخفي عن حبيبها امام والدها انها مرتبطة به بحبل لا يفصمه الا القبر وقد اقسمت له علي كتاب صلاة امها المتوفاة انها لا تتزوج بغيره اذا لم يصر بعلها . وان هذه الافعال كانت كافية لتحيي الشجاعة في قلب الجبان وبالحرى في قلب من هو باسل مثل هذا . فكان جان يقول في نفسه لابد واني اتحصل علي الالف ليره ولو اني لا اعرف الواسطة ولكنني سوف اعثر عليها

ثم جعل يقامر حتى اكتسب مبلغا زهيدا وبهفوة صغيرة في اللعب قد خسر ما كان اكتسبه ورجع صفر اليدين فصار يقطع شعر شاربه

بثيابه ويخبط برأسه فى الحائط من شدة الغضب ثم كرر في نفسه جملة روزة فهونت عليه حيث قالت له اما ان اعيش معك اولا اعيش مع احد الابد ولكني مطيعة لرغائب ابى في حياته ومتممة لمقاصده بعد مماته ثم اشار علي جان بعض اصحابه ان يسافر الي اميركا ويتحصل هناك علي ثروة حيث ان تلك البلاد غنية جدا ولكنه بعد ماعول علي ذلك رجع فاقلع من عزمه لدي افتكاره بانه طول مدة تغيبه لايرى روزه حبيبته ويحرم منها كلية حتي فى الكنيسة كما كان يراها في كل يوم احد .

واتفق انه فى اثناء ذلك حدثت الحروب الاهلية وحصل ما قلته لك من انه بينما كان الجنرال جاريدوه القائد في حالة اليأس اتاه ذاك الشاب المسمي جان وقال له ما اوردناه فى حينه فقال جان اذا كان اعدام ذوكراجا يعقبة ثروتى فانى اتعهد لك بذلك . فاجاب جاريدوه ان قطع حياة ذوكراجا يساوى اكثر من ثروة لانه ينقذ من الهلاك حياة الآف من البشر الذين هم بمثابة اولادى او بالحري ينقذ عموم اهل وطني من الشتات والانقلاب الحاصل بين الفريقين ... آه ان ذوكراجا اصل العتو والشقاق وهو مفتاح مدينة بلباوه والسبب في حصارها . واذا تممت ما تقول ياهذا فما عليك الا تذكيرى بوعدي وانا امنحك فوق ما تريد فاجاب جان حسن ايها القائد . سألتقي بك عن قريب متمما لك المرغوب . ولما خرج جان هز جاريدوه اكتافه استخفافا به وظن انه جاسوس

﴿الفصل الثاني﴾

وابتعد جان عن معسكر جاريدوه الضارب اطنابه في جهة هرنانى وغاب عنها طالبا نهو هذه المأمورية وهو يقول في نفسه ان اعدام ذوكراجا يساوى ثروة وانا في احتياج تام اليها لاتمكن من الاقتران بحبيبتي واتمتع بالحياة معها في هناء وحبور . اما الجنرال جاريدوه فانه بعد انصراف جان اعطي او امره للتأهب كي يفاجيء جيش ذوكراجا ليلا . ويستولوا على الممرات والمضايق والتحصينات بقوة الرماح والسلاح الابيض والاهتداء بضوء الطلقات النارية وفي اثناء ذلك كان جان يحوم حول تحصينات ذوكراجا وفي زناره مديته التي كان يحسن الطعن بها ويصيب الغرض من مسافات شاسعة وهو مستعد لانتهاز اي فرصة وقتل ذوكراجا علي اي صفة

وبينما كان جان آخذا في التجول حول المعسكر وقد اقترب منه كثيرا اذ لمحه احد الحرس فبعث له برصاصة مرت قريبة منه جدا حتي انها اخذت في طريقها قطعة من اذنه اليسرى ولكنه لم يعبأ بما اصابه بل تأسف لكون الحرس قد رآه وصار مستحيلا عليه الدنوالى المعسكر اكثر من ذلك واخيراً رجع عازما علي استئناف العمل في الليلة الثانية

وبالاتفاق جاريدوه عزم علي احداث المفاجأة في الليلة القادمة التي فيها جان قد آيس على نفسه وعزم علي قتل ذوكراجا وعول علي اتمام عزمه وان لايرجع الا اذا مات فلما هجم الليل بجيوشه وتسلطن الظلام في منتصف الليل قام جان من حجره الذى كان مختبئا فيه وتمشي

لناحيـة معسكر ذوكراجا · وفي ذاك الوقت انقضت عساكر جاريدوه فسمع جان طلقات الرصاص وسر بذلك كثيرا وتمني تحقيق ما في ضميره ولما تاكد حدوث القتال استفزه الحبور لكون ذوكراجا سيكون بدون شك في مقدمة عساكره في المعركة فيقترب منه وينهي الوطر في وسط المعامع بغير خيانة · ثم تذكر حبيبته روزه فجاش دمه في عروقه حارا او قال نعم ان قتل ذوكراجا يساوى ثروة ولذا عن قريب سينقضي اجله ويسعد حظي واقترب من حبيبتي

واشتد القتال في تلك الليلة فجعل عساكر جاريدوه ينقضون علي تحصينات العدو بحنق زائد ويطعنون في كل ما يجدونه امامهم · وكانوا يظنون بانهم سيأخذون العدو علي غرة · فوجدوه متحذرا كأنه كان عالما بما سيحدث من قبل · ولم يزل فى تلك الليلة المدلهمة السواد شيطان الموت حائما فى تلك الجهات ورسله تقبض الارواح وكانت السيوف تعمل في الرقاب كزرع الحصيد وتخترق في الصدور · والبواريد تشعل برصاصها قمم الرؤوس · ومما يوجب الاستغراب وانهال دموع الحزن انهرا من اعين كل سليم القلب هو ان هذه الخطرات هي افعال ابناء وطن واحـد فى بعضهم وذلك مما يقضي بالخراب في البلاد لان كما هو معلوم لدى العموم ان فى الاتحاد وجمع الكلمة نيل الارب وفي انشقاق عصا الاتفـاق عكس ذلك تماما مما يعود بالوبال علي اهل الجدال

واستمر الحـال على هذا المنوال مدة ساعات طويلة · واخيرا عند الصباح كانت الغلبة لعساكر ذوكراجا · وتقهقر جاريدوه بجنوده ولم تنفع

بشيء تلك المفاجائة سوي ضياع عدد كثير من الجنود وزيادة كسرات علي ما سلف واخذت عساكر ذوكراجا تصيح صياح الفرح وتهلل وتكبر بصوت كالرعد القاصف ثم ان جميع تلك الاصوات المعلنة بالفرح قد انقلبت بضدها لانهم عثروا بغتة علي ذوكراجا قائدهم وهو ملقي علي الارض جريحا في فخذه جرحا بليغا كاد ان يقد العظم . وقد كان صوته مسموعا كهزيم الرعد في طول الليلة الغابرة وهو يشجع ويحرض رجاله علي الثبات والاقدام وتشتيت العدو . ووجدوه في تلك الساعة علي هذه الحالة امام السجن حيث كان يحجر علي الاسرى وفي الليلة الغابرة قد اسروا عددا ليس بقليل وكان ذوكراجا محاطا بوقار من اركان حربه وهو لايمكنه الانتصاب ومسندا علي ايدي رفقائه ثم اتوه بمقعد كبير واجلسوه عليه ممددا رجليه . وكان جان يرى كل ذلك لانه اخذ ضمن الاسرى . ووضع بين المأسورين من عساكر جاريدوه وحواليه عساكر ذوكراجا وبغادقهم مصوبة نحوهم وكان يظن ان حياته قد انتهت وانه سيقتل حال مايرونه متزيا بغير ثوب العسكرية وظن ان روزه تقترن بغيره او تموت عذراء فجعل يحدق شذرا بذوكراجا الجريح من بعيد وهو يردد هذه العباره ياليته مات وكنت هربت لا يتمتع بالحياة بقرب حبيبتي وفي هذه الاثناء لم تبرح الضباط مجتمعة حول قائدهم العام منهم من هو جاث امامه ومنهم من هو مشتغل بالبحث عن جراح الجيش والضباط قد كلوا اوملوا من التفتيش عليه في كل مكان ولم يعثروا له على اثر وكان ذوكراجا يقول متبسما « فلننتظر الطبيب واظنه نائما اومشغولا بالجرحي من جيشنا » وعلي فجأة اتى ضابط وعيناه مغرورقة

بالدموع وهو يقول انه وجد جثة الجراح بين الموتى في ساحة القتال وفي الحال علمت الفوغاء في جيش ذوكراجا لعدم وجود جراح يضمد جرح قائدهم الذي ربما كان مهلكا. فافتكروا ان يبعثوا في طلب طبيب جراح من جيوش الدون كارلوس رئيس حزبهم ثم ان احد الضباط اتجه نحو الاسرى وصاح قائلا ايوجد بينكم طبيب او جراح فجعل الاسرى ينظرون لبعضهم البعض وكرر الضابط الايوجد احد فيكم له المام بذلك فقال رجل من بين الاسري: انا فقال الضابط اذن اقترب بسرعة فخرج رجل من بين الجمع المكتظ وتقدم وهو عالي الرأس وهذا الرجل هو جان فقال له الضابط انك لست من الجنود فاجاب كلا فسأل الضابط ولما انت هنا فاجاب لانهم اخذوني قوة مع اني لم اقاتل . بل كنت عازما علي الذهاب الى بلباوه لاري عائلتي فعاقتني الموقمة عن الوصول فسأله الضابط وهل تعلم شيئا في الطب فاجاب كلا بل ان عندي بعض اشياء اضعها علي الجرح فيضمد في الحال فلما سمع الضابط منه ذلك اخذه وذهب به الي ذوكراجا فجعل هذا الاخير يتفحصه ويتفرس فيه بنظره الحاد ثم سأله عن قصته وسبب مجيئه ههنا فاخترع له جان حكاية كاذبة مضمونها انه تشوق لرؤية عائلته ووالديه القاطنين بلباوة وهذا السبب هو الذي جرأه علي العبور وسط المتقابلين فسأله ذوكراجا ولم لا تنخرط للآن في سلك جيشنا اذا كنت من شمالي اسبانيا فاجاب الفتي لاني لااريد ان اتداخل في مثل ذلك فنظر الضباط اليه بعجب واشمئزاز واراد ابعاده فلم يرض ذوكراجا وقال كل انسان حر في نفسه ثم التفت نحو

الشاب وقال له بلغني انك تعرف في ضمد الجراح وشفائها فهل يمكنك ان تخفف عني هذا الالم الهول ثم كشف عن فخذه الغارق في الدم فرفع الشاب اطراف الثياب بسرعة وصب ثلاث نقط برشاقة من السائل الذى كان في الخاتم علي قطعة من القماش ووضعها فوق منفس الجرح بغير مبالاه وفي الحال قال احد الضباط اننا لا نعرف هذا الرجل فقال ذوكراجا لا يشترط ان الانسان يعرف طبيبه ثم انه قرب فخذه من جان وقال له تم عملك وما اتم الفتي عمله حتي قال الجريح ان حالته تحسنت ثم انه قال لجان اذهب فى حال سبيلك فانك حر لكنه راجع نفسه وقال انى اريد ان امنح هذا الشاب بمنحة امام المروءة التي فعلها معي ثم قرب جان منه وقال له تمنّ علي ماتريد فاجاب جان وقد بكته ضميره انني لا ارغب في شيئ فاخرج ذوكراجا من جيبه علبة سكاير محلاة بالذهب وقدمها لجان قائلا خذ هذه تذكارا مني فرفض جان اخذها فقال القائد ما هذا الا تريد ان تقبل متى شيئا ولما هذا الكوني من رجال الدون كاراوس فقال جان كلا واكراما لك سأخذ سيكاره ثم ان جان قرن قوله بالفعل واخذ من تلك العلبة سكارة وتفرسها ثم دسها في جيبه فساله ذوكراجا وما هو اسمك ايها الشاب فاجابه اسمي جان فقال القائد حسن ياجان اذهب الآن في سبيلك ولكن اعطني يدك قبلا فمد جان يده وضغط علي يد ذوكراجا وهو منبهت اللون ثم انه سلم علي اركان حربه وعلي ضباط جيشه وابتعد بخطوات متساوية وهو متبوع بنظرات القائد المتوقدة

وفي تلك الليلة بينما كان جاريدوه جالسا كعادته علم بمجيء الشاب الذي تقابل معه من بضعة ايام وكلمه بشجاعة بخصوص اعدام ذوكراجا مما اوردناه في حينه وكان الجنرال جاريدوه في كدر زائد مما داهمه من كسرته في الليلة الغابرة وهو قريب من الجنون او الانتحار واستقبل جان باسوإ استقبال وقال له بغضب ماذا تريد ياهذا ... وانى يخال لى انك انت الذي نبهت العدو باننا سنفاجئه فاجاب جان اني اريد الاختلاء بك ايها الجنرال في معزل عن الناس لابشرك بشارة فلاح للقائد من علي وجه جان علامة الصدق فاشار للضباط ان يتركوه علي انفراد مع ذلك الشاب وحينما خلا لهما المكان قال الجنرال ماهي بشارتك ايها الشاب فاجاب جان بعد تردد واممان انك قلت ايها القائد ان اعدام ذوكراجا يساوى ثروه اما هكذا فلم يجب جاريدوه فداوم الفتي حديثه الي ان قال وانى جئت الآن اطالبك بهذه الثروة حيث انى استحقيتها فجعل جاريدوه يتفرس فيه متعجبا مما سمع ثم انه قال انى لست بفاهم علي اي صفة قد استحقيتها فاجابه جان ان ذوكراجا من الآن فصاعدا قد تقضت محاربته اياك فقال القائد اماتت هو فاجاب الشاب نعم وان كان عائشا الآن فانه سيموت في غد فاندهش القائد وجعل يكرر كلمة غد وقد اعجم عليه الامر حتي روي له جان كيف جرح ذوكراجا في فخذه وكيف وضع له السم في الجرح فاعجب من جان وقال افعلت ذلك انت فاجابه نعم نعم وانى لو كلفت باشد من ذلك لفعلت بدون تردد لكي انال منيتي باقترانى بروزة ثم انه ذكر جاريدوه بوعده واوري انه ما اتى الآن

الا لبطالب بمكافأته علي ذلك فقال القائد اذن معك الحق ثم استعمله عن مسكن روزه ودعا احد الاتباع واعطاه عنوان مسكنها والاوامر كي يخبر الكاهن رئيس البيعة ليستعد لعمل قران فى غد

وقضي جان هذه الليلة في المعسكر والارق مستحكم منه الى الصباح وما نام الا قليلا فحلم بانه رأي روزه وفي يدها سبائك ذهب ومن دهشته استيقظ وبعد قليل اتت فرقة من الجند تحت قيادة ضابط وطلبت جان حيث ان جاريدوه امر باحضاره فسار صحبة من جاؤا في طلبه فذهبوا به الي البيعة فدخل فوجد ازدحاما مهولا واحتفالا باهرا يفوق الوصف ورأى الجنرال جاريدوه جالسا بثيابه الرسمية واركان حربه حوله في زاوية وفي الجهة الاخري روزه واقفة كالملاك في ثوبها الجميل واباها بجانبها واخذ جان يسرح نظره فيما هنالك من الاحتفال ثم وقف شاخصا الي محبوبته الجميلة ذات الخد الاثيل والطرف الكحيل والكمال النادر والقد الزاهر والخصر الرقيق والبياض الناصع والصدر الواسع والاعين السود فوق ورد الخدود والشعر الحالك المسترسل الي ماتحت الخصر ثم انه دنا من جاريدوه وقد القت روزه عليه نظرة اورثته الف حسرة فامر الجنرال جاريدوه ان يحضر الكاهن لعقد شروط الاقتران وفي الحال ظهر الكاهن بملابس الصلاة ووقف بلا حراك وسمع اثناء ذلك اجراس الكنيسة تضرب ايذانا بوقوع عرس فى ذلك اليوم فقال القائد بصوت جهورى يخاطب شغار الكهل : هذا جان الذى وعدته باعطائه ابنتك حينما يتحصل علي عشرين الف فرنك بصفة ثروة ثابتة له وها هو الان

قد تحصل علي ذلك المبلغ فهل تصدق على ان يصير بعلا لابنتك روزة ام لا. فاجاب شغار اني راض باقترانه بابنتي فقال جاريدوه الى جان وانت هل تقبل ان تكون روزه زوجة لك فاجاب نعم. وكان الكاهن مستعدا لاعطاء الحله حينما سأل جاريدوه الفتاة روزه قائلا وانت اتقبلين ان تتخذي جان هـذا الحاضر هنا زوجا لك فتقدمت روزه خطوتين الى الامام ونظرت الي جان نظرة تسبي وقالت كلا ... فلغط الجمع الحاضر وجعل كل ينظر الي هذا المشهد المؤثر واستتبعت الفتاة روزة قولها فقالت با كثر صراحة كلا ثم كلا واني حلفت لك ياجان ان لا اتزوج بغيرك ابدا وساقوم بوعدي وابر بقسمي واستمر عذراء الى آخر حياتي ولكني لا اسلم باقتراني بخائن غادر مثلك علي الاطلاق .

وبينما هم كذلك اذ سمع صوت اجراس الموتى تقرع من بعد في معسكر ذوكراجا وذلك لان سم جان عمل مفعوله وخلص علي ذوكراجا في تلك الدقيقة فذهب شهيد العذر بسم جان الناقع وايضا في تلك البرهة سكتت اجراس الفرح في بيعة هرناني وبعد هنيهة لم يبق حس اجراس لا لفرح ولا لحزن وعم السكوت العميق فقال جاريدوه الآن قـد مات ذوكراجا وجعل جان يحدق بروزة كأنه يقول لها ان هذا كان بسببك ايتها الجميلة الجافية اما هي فلم تكلف نفسها حتى ولا بالنظر اليه فالتفت الجـنرال جاريدوه نحو جان قائلا له ماذا تريد ان تفعل بالاربعة آلاف ريال ثروتك فاجاب جان انني لا اريدها واوصي بها كلها الي الفقراء والمعوزين حيث اني ذاهب لاسكن الضريح مذ الان . فقال جاريدوه حيث انك

تريد ذلك فسنجرى ارادتك والآن سنأمر باعدامك حتى لا ترتكب جناية قتل نفس اخري ولكي تكون عبرة وقدوة للغير وليعلم كل انه لايجوز قتل رجل حربي بخيانة وغـــدر وانما يباح قتله في ساحة الهيجاء

فجثا جان علي ركبتيه امام الكاهن وقال بصوت جهورى فليرحمني الرب وفى الحال ضربت اجراس بيعة هرناني اجراس الاموات وقد انتصب جان واخذ من جيبه سكارة ذوكراجا فولعها وشخب منها وهو محدق بروزة فتحركت هذه الاخيرة بعامل الشفقة وارادت ان تحذف بنفسها اليه ولكن قد ذهب الوقت واحتاطت بجان احاطة السوار بالمعصم جملة من العساكر شاكي السلاح وقادوه الى الاعـــدام يامر جار يدوه وسبحان مقلب الاشـــياء . فجعلت تحدق مستجمعة قوة نظرها الحاد لتراه المرة الاخيرة ولكنها لم تقدر ان ترى سوى دخان ازرق متصاعـد الي فوق رؤوس العساكر المحيطين بجان ثم يذهب به التصاعد ادراج الرياح ويصير كالهباء المنثور ولايعود يرى ثم بعد هنيهة رأت روزة فى وسط الساحة عمودا ازرق من دخان وهو آخر نفس من تلك السكارة تذكار ذوكراجا وسمعت الضابط ينادى بصوت عال ان اطلقوا الرصاص فوقعت جثوا علي ركبتيها وجعلت تصلي بصوت مسموع ولكن قرقعـة عشرين بندقية معاقد قطعت صلاتها وغلبت علي صوتها

فقامت كالمجنونة لاتعي شيأ ونظرت من باب البيعة الي الساحـة التي اعدموه فيها فرأت جان واقفا مسندا علي الحائط وجسمه مشكك

بالرصاص والدماء سائلة من جراحه ثم وقع علي وجهه الي الارض فاقترب منه الضابط ليجهز عليه بحسامه كما هي العادة فرأي في يده المشنجة عقب تلك السكاره التى هي تذكار ذوكراجا البطل المبين . والقاتل يقتل ولو بعد حين . والى هذا المقام . تم الكلام .

تنبيه واعتذار

اننا وعدنا في آخر الجزء الاول من كتابنا السلسلة الدرية في الفكاهات التاريخية باننا سنقدم عما قليل علي طبع المجلد الثاني ونحن متذكرون قولنا وسنقوم بوعدنا فليطمئن المطالعون حيث اننا بوعدنا مقرون وان شاء الله عما قليل يصدر هذا المجلد باجمل وضع واتم اتقان وعلى ذلك اقتضي التنويه في عجالة هذا المقام مع طلب العذر من القراء الكرام عن تأخرنا في اتمام وعدنا للان ونحن واثقون بقبول عذرنا والاركان الي قولنا . والله الموفق الى مافيه الصواب .

اعلان

لدينا كتاب سميناه الرحلة الشتوية في الجهات الثلجية وهو تعريبنا سنقدم علي طبعه بعون الله قريبا وهو كتاب نفيس نحن متأكدون انه سينال حظوة فى انظار المطالعين خصوصا ذوو البصر والبصائر من المصريين